

طريقة المشروع في الرياض المصرية

يقدم السيرة زكية عزيز

مدرسة بمعهد التربية المعلمات

طريقة المشروع هي أحد المظاهر العملية التي تعبر عن التيارات الجديدة في التربية الحديثة ، وهي إذ تعد الطفل نقطة البدء ، والمحور ، بل والغاية في التربية ، تتطلب من المدرسة الإلمام بالدوافع النفسية للطفل ، وخاصة تلك العوامل التي تؤثر في عملية التعلم عنده . وقد قطعت طريقة المشروع مرحلة الاختبار في أمريكا وإنجلترا وغيرها من البلاد ، وانتهى الرأي الآن إلى أنها خير أداة لتعليم الطفل وتنشئته خلال السنوات الأولى من حياته التعليمية .

ولا يزال رجال التربية على خلاف في الاسم الذي يطلقونه على هذه الطريقة ، فبينما نجد J. Dewey يطلق عليها « نشاط أو عمل » Occupations مع حرصه على تفسير المعنى المقصود من Occupations بأنه النشاط الذي يستغرق الطفل فيه اللذة المستمدة منه ، لا يلمتس منه الوسيلة إلى غاية أخرى ، نرى دكرولي O. Decroly يطلق عليها « مركز التشوق » Centre of interest . أما كلمة المشروع Project فقد وضعها كليباتريك W. Kilpatrick ، وهي الآن أكثر المصطلحات الثلاثة شيوعاً .

والقصد من المشروع استقلال يقظة الطفل المنفتحة إلى المعرفة في إيجاد هدف يتركز حوله تفكيره ، أو موضوع ينال من اهتمام الطفل بحيث يصبح ينبوعاً لنواحي نشاطه عموماً . والخبرة الشخصية المباشرة هي اللون الغالب أثناء استخدام الطريقة ، إذ أنها تجعل من أهم مقتضياتها أن يواجه الطفل مشكلات ومواقف ، يقبل عليها رغباً ، لمعالجتها عملياً بقدر ما تسمح له قدراته ومهاراته . وخلال هذا الضرب من النشاط الذي يستغرق الطفل فيه بكليته يختبر ، لا شعورياً ، عمليات عقلية مستمرة

ومتصلة ، بما يصحبها من انفعالات ملائمة ، مما يؤدي بالطفل الى اطراد التكيف في سلوكه ويساعده في عمليات النمو العقلي والترقي العام في الشخصية . ومن الميسور أن نلمس أثر هذا الترقى الشامل في سلوك الطفل ، فمن أبسط دلائله : اهتمامه بمواعيد المدرسة وطلباتها والإقبال عليها راضياً لا مدفوعاً بعامل الشدة أو التأنيب ، وربط ما يسمعه أو ما يقع عليه بصره ، سواء في الشارع أو في البيت ، بالمواقف التي اختبرها في المدرسة . هذا فضلا عن روح المشاركة أو المعاونة الإيجابية التي تختلط بسلوكه عموماً . أما الأغراض التي تهدف إليها طريقة المشروع فأهمها أن تتخذ من الحياة وسيلة لإعداد الطفل للحياة ، وذلك بأن تجعل من الفترة الأولى للتعليم مجالاً يختبر فيه الطفل الحياة ، على صورة مصغرة ، داخل جدران المدرسة ، مما يعينه على ألا يتقدم بسنه الزمنى وحسب ، بل يقطع مراحل متعادلة في كل من جانبي الترقى الانفعالي والعقلي أيضاً . وهذا الاتجاه الذي يهدف إلى العناية بصحة العقل ، كما يعنى بصحة الجسم ، إنما يمثل النزعة الحديثة إلى تهئية الفرد للتمتع بالحياة ، تلك النزعة التي تمتد في أصولها إلى ما يجرى في محيط علم نفس الطفل من تجارب وبحوث .

والسبيل الصحيح لتطبيق طريقة المشروع هو تنمية فكرة قد تجيء عرضاً أو لمناسبة ما ، والتوسع فيها والتعبير عنها بوسائل مختلفة تبعاً لما يكون موضعاً لاهتمام الأطفال وقتئذ . وليس مما يصح في طريقة المشروع إطلاقاً أن تقتصر المدرسة على عرض لوحة لتكون نموذجاً للمشروع ، وإن كان من الجائز أن تستعين باللوحات للتعبير عن جانب من جوانب المشروع ، أو طرف من أطرافه . ولندكر مثالا لذلك مشروع قصة الملح (الرسم ١) . ومن أمثلة المشروعات الناجحة دون الاستعانة باللوحات مشروع طعام الإفطار الذي كان الإنتاج فيه يستهلك أولاً فأول ، متيحاً للأطفال والمدرسة مجالاً خصباً لممارسة آداب المائدة ممارسة عملية ، وملقنا إياهم دروساً ثمينة في ضرورة العناية بنظافة المأكولات و . . . الخ ، وإن كان لا يعنى بالاحتفاظ بالآثار المادية التي يتركز حولها اهتمام بعض الزيارات التفتيشية .

وتستخدم طريقة المشروع على هذه الصورة في الرياض المصرية . غير أنها

تستخدم في نطاق ضيق جداً بالنسبة لمجموع الرياض وذلك لعوامل كثيرة أهمها أن استخدام الطريقة يتطلب أمرين :

أولهما إلمام علمي عملي ، من جانب المدرّسة ، بأن الإعداد التربوي التعليمي للطفل في السنوات الأولى من حياته يتميز بأنه عمل وتفكير في آن واحد ، وهو في ذلك يستند إلى الحقائق المعروفة عن سيكولوجية الطفل في تلك السن . وكما تقدمنا به في مراحل التعليم زاد فيها الجانب المنطقي ، ومن ثم ينبغي أن يكون الإعداد المزدوج للطفل بوصفه شخصية مستقلة ، وكذا بوصفه فرداً يستطيع التعاون والانسجام مع البيئة التي يقيم فيها ، في المرتبة الأولى من الأهمية ، بدلا مما يرى حتى الآن من الإسراف في الحرص على تلقينه ماجاء بالمقررات . فإن هذا القلب للأوضاع يجعل المقرر هو الهدف والغاية ، وبدلا من أن يوضع المقرر لخدمة الطفل كما يقضى بذلك كل نظام تربوي سليم ، أصبح الطفل هو الوسيلة لخدمة المقرر .

وثانيهما ضرورة إلمام المدرّسة بقوانين التعلم ، أي كيف يتعلم الطفل — وعملية التعلم هذه تتلخص في ثلاثة قوانين ، مرتبط بعضها ببعض ، الأول منها يحتم على المتعلم مواجهة مشكلات ، ينبغي له الفصل فيها عن طريق التجربة والمحاولة الشخصية . والثاني يرمي إلى أن تكون للتجربة صلة مباشرة بحياة الفرد ، حتى يستمد منها الرضى والذلة . والثالث يستغل لذة المتعلم في إثارة رغبته إلى متابعة نوع معين من العمل ؛ ويقاس مدى نجاح عملية التعلم بمدى رغبة المتعلم في المتابعة والاستمرار .

وإن التدريس على نهج طريقة المشروع وفي نطاق الأسس السيكولوجية السالفة الذكر ، ليتطلب من المدرّسة ، إلى جانب عملها المعتاد ، الاندماج في حياة الأطفال ، مع اليقظة الذهنية وحضور البديهة ؛ غير أنه من الضروري أن تتمتع في نفس الوقت بحرية العمل وبثقة من تعمل معهم ، دون أن يقاس مدى نجاحها في تأدية رسالتها بالمقاييس المألوفة التي تجعل قصارى غايتها مقارنة بمعلومات الطفل بمنهج ثابت ، موضوع لجميع الرياض في جميع المناطق ، وإنما يقاس نجاحها بمدى ما يصل إليه الأطفال من استقلال في التفكير ، وقدرة على الاستمرار على العمل بمفردهم . فإذا توفرت هذه العوامل

استطاعت المدرّسة اختيار المشروع والاتفاق عليه مع الأطفال ، حتى يشعروا بأن المشروع مشروعهم ؛ ومن ثم فإن الاختيار ، في أغلب الأحيان ، يكون لمناسبة أثارت اهتمام الأطفال وشغلت تفكيرهم ؛ ومن الأمثلة على ذلك مشروع مهرجان الشعلة ١٩٤٥ ، فإن الابتهاج بعيد ميلاد جلالة الملك ، وما امتازت به هذه المناسبة من جمال وتنوع في مظاهر الاحتفاء ، كان موضع الاهتمام الشديد عند الأطفال (الرسم ٢ ، ٣) .

أو قد يكون اختيار المشروع لمناسبة حادث غير مألوف في الحياة اليومية للروضة ، ومن ذلك أن تأخير موعد تناول اللبن ، لأسباب طارئة ، كان مثار حديث شائق عرض فيه الأطفال والمدرّسة للأواني التي تستعمل في تناول السوائل وأنواعها ، من حيث أشكالها المختلفة ، والمواد التي تصنع منها ، وقد تركّز هذا الحديث حتى انتهى إلى مشروع الفخار (الرسم ٤ ، ٥) .

هذا وكثيراً ما يكون حديث الصباح الحافز على تسكوين مركز التشوق ، فمشروع مصدر مياه الشرب في مصر كان الإجابة العملية لاستفهام طفلة أثناء حديث كان محوره سقوط الأمطار بغزارة خلال الأسبوع الفائت ، فقامت تلقى هذا السؤال : « من أين نشرب في الصيف إذا كانت الأمطار تسقط عندنا في الشتاء فقط ؟ » ، فأخذت المدرّسة توجه الإجابة بأسلوب عملي أدى بالأطفال إلى الرغبة في المزيد (الرسم ٦ ، ٧) .

وفترة الأخبار أيضاً لا تقل في أثرها المفيد ، إن لم تزد ، عن حديث الصباح من حيث التوجيه الموفق نحو اختيار مركز التشوق أو المشروع . ومشروع الصابون ١٩٤٥ تبلور من الانتقال بالحديث عن أسماء الوزارات واختصاص كل منها ، فعندما عرج الحديث على معروضات وزارة التجارة والصناعة ، أعلن طفل في عظمة وافتخار ، أن والده يقوم شخصياً ، في البيت ، بعمل الصابون للاستهلاك اليومي فكانت هذه العبارة نواة لتحقيق الفكرة داخل جدران الروضة (الرسم ٨ ، ٩ ، ١٠) .

ويرجع مشروع أنواع الطلاب إلى الجهود الذى بذلته المدرسة لإثارة اهتمام الأطفال بالألوان ، وتذوق ناحية الجمال فيها بعد ما لمست في بدء العام الدراسى من جهلهم بأسمائها وعجزهم الملحوظ عن تذوق جمالها ، وكان من أثر ذلك أن زاد اهتمام الأطفال بالألوان جميعها وحيثما وجدت (الرسم ١١ ، ١٢) .

ومن العوامل الحاسمة في نجاح الطريقة ، اقتناع المدرسة بالفكرة وتحمسها في تنفيذها ؛ وهى إذا انفتحت والأطفال على مركز التشوق ، وجدت نفسها مضطرة إلى تزويد ثقافتها في هذا الباب ، استعداداً للإجابة على الأسئلة المفاجئة للأطفال ، ثم لتقل إليهم ، بعد التبسيط ، ما تراه ملائماً من المعلومات . والقائمة التالية من المراجع ، وهى خاصة بمشروع مهرجان الشعلة ، تعطى فكرة عن المراجع التى لزمنا لتغذية هذا المشروع :

- ١ - الجرائد والمجلات التى ظهرت يوم ١١ فبراير سنة ١٩٤٥ .
 - ٢ - التاريخ القديم ، ترجمة الدكتور حسن كمال .
 - ٣ - قصص القدماء المصورة ، تأليف ابراهيم سيف الدين .
 - ٤ - المطالعة التاريخية ، تأليف ز . على ، م . م . زيادة ، أ . ن . هاشم .
 - ٥ - معجم البلدان ، تأليف ياقوت الحموى للبحث عن تاريخ تسمية البلاد المهمة التى مر بها المهرجان .
 - ٦ - دائرة المعارف محمد فريد وجدى للاطلاع على تاريخ اليونان وعلاقتهم بالألعاب الأولمبية .
 - ٧ - معلومات عن المنارة قديماً وحديثاً من أستاذ في التاريخ .
 - ٨ - الاتصال بمحطة القاهرة للسكة الحديدية لتبين المسافات بين البلاد المهمة التى مر بها المهرجان .
- وبعد الاتفاق على المشروع تتفرغ المدرسة لوضع الخطة اللازمة للعمل فيما بعد ، وهذه الخطة تشمل عادة المواد الدراسية التى لها مجال في المشروع ونصيب كل منها خلال الأسبوع . ومن ميزات طريقة المشروع أن تصل المواد الدراسية بعضها

بعض ، لتجعل منها شبكة معارف ينظر إليها الطفل كضرورة أو وسيلة لها مكانتها في العمل على تحقيق رغباته بالنسبة للمشروع ؛ وهكذا يمضى مجهود المدرّسة من إعداد ذهني إلى آخر مادي ، وينعكس أثر هذا في نشاط الأطفال ، فيما يرى من وضوح تفكيرهم وانتظامه أثناء العمل .

فالإعداد الذهني يقتضى من المدرّسة ، قبل مواجهة الأطفال ، التفكير الدقيق في كل خطوة من الخطوات التي يتكوّن منها العمل أو النشاط . أما الإعداد المادي ، فإن الأطفال يستطيعون ، إلى حد كبير ، القيام به فمثلا لعمل الصابون ، الخاص بمشروع الصابون ، أحضر بعض الأطفال مقادير صغيرة من الزيت ، وجاءت طفلة بمقدار من الدقيق ، وساهم الآخرون بالجرائد القديمة . وفي اشتراكهم هذا أثر جميل محمود ، لأنه يتكوّن مجالا عمليا لمرانهم على الشعور بالمسؤولية والتفكير التعاوني ؛ وإن إشراف المدرّسة إشرافا فعليا على هذا الجانب من العمل يخدم الأطفال والمدرّسة ويساعد على نمو المشروع .

ولكي يستمر العمل في طريقه الطبيعي ، لسنا من الخبرة الشخصية المباشرة ، أن الوقت المقرر للفترة ، وهو ٣٠ دقيقة ، لا يكفي في أغلب الأحيان لإنجاز شيء مما نود . فلجأنا في علاج هذا إلى تجاهل « الجرس » المنذر بانتهاء الفترة ، وظللنا في العمل مستغرقين بدل الفترة فترتين أو أكثر . وقد تبين لنا أيضاً أن تسمية بعض أنواع النشاط « معلومات عامة » كان أكثر دقة وتوفيقاً ، ومما ينطوي تحت « المعلومات العامة » الدروس التي تعتمد بكليتها على التجارب ، كما رأينا في مشروع الصابون والملح .

وهناك مواد كانت لا تجد لها مكانا منسجما في الخطة فكانت تدرس للأطفال على حدة ، إذ ليس من الجائز إهمالها لحاجة الطفل إليها في السنوات الأولى من نشأته مثل دروس الألعاب والموسيقى .

أما مادة التهذيب فلم يكن لها مكان في معظم الخطط ، ولم نحاول تعويضها على حدة ، كما فعلنا في دروس الألعاب والموسيقى ، اعتقادا منا بأن التربية الخلقية

بمعناها الصحيح ليست مما يلقى على الأطفال في دروس أو مواظ منفصلة . وإنما كنا نعمل على أن تلمس بين طيات العمل والنشاط حيث ينفصح المجال أمام الأطفال لممارسة السلوك الاجتماعي المرغوب فيه ممارسة عملية .

ولسنا نجد للدرجات ووسائل التشجيع التقليدية ، مثل النجوم الفضية وجداول الشرف ، أى مكان في طريقة المشروع ، لأن الأطفال يجدون في لذة العمل ونمو المشروع ما يزيدهم حماسا وإقبالا عليه ، ومن ثم يكون إقبالهم على العمل من أجل تحقيق فكرة ، لا للحصول على نجمة .

هذا والخطط التي تكررت الإشارة إليها ، مرنة في طبيعتها تتحمل التغيير والتأجيل تبعاً لما تلقى المدرّسة من ملاحظات الأطفال وأسئلتهم ، أو ما تلاحظ من أخطاء لغوية شائعة أو ما شابه ذلك مما يضطر المدرّسة إلى التوقف قليلا حتى تملأ الفراغ وتسد النقص وتصحيح الخطأ .

إن طريقة المشروع تمثل التيارات التربوية الحديثة التي تستند إلى فهم صحيح لسيكولوجية الطفل وقوانين التعلم ، وهي فيما نعرف حتى الآن خير الوسائل لإعداد الطفل عن طريق الحياة .

Summary

ZAKIA AZIZ : The Project Method in the Kindergartens of Egypt.

The Project Method is one of the practical expressions of the new trends in modern education. The child is its aim. Its ideal is the preparation for the growth of an integrated personality. The means are life itself and the teacher whose experience is based on child psychology, with special emphasis on the laws and the process of learning.

A project is a centre of interest that stimulates the child's desire to know. It becomes an incentive to a wholehearted activity. The child who is absorbed in such occupation experiences, though unconsciously, various and continuous mental

operations accompanied by emotions, resulting in an increase in the mental structure and the growth of the personality. The application of the method in our kindergartens is limited for more than one difficulty. The teacher, in addition to that which is previously required of her, should be entitled to freedom of work and confidence from the authorities. Then the choice of the project could be done by the children with the teachers's guiding help, to allow for the pleasure of feeling that the project is their own. The choice is always the after effect of an excursion, public holiday, morning talk, a practical answer to a casual question from a child, ... etc. The choice is followed by the teacher's plan for work and the collecting of material and information. The children's willing cooperation to collect material and work in groups allow for practicing social rights and obligations.

The following conclusions are drawn from our direct personal experience, during the application of the method:

1. Signals of the school bell are ignored and children carry on with their occupations.
2. The use of formal means of encouraging, e.g. marks and stars, is absent. The children enjoy the work for its own sake.
3. The important subjects e.g. music and games are taken separately if they find no place in the plan for work.
4. The plan is essentially elastic to meet the demands of the unexpected questions and remarks that children are bound to make.
5. The period "ethics" on the traditional time-table is neglected, for children practice the desired behaviour right through the hours of work.